الصاعقة الثامنة والتسعون: حتامَ نحن نساري النجمَ في الظلمِ(*)

حتامَ نحنُ نساري النجمَ في الظلمِ ... وما سُراهُ على خفٍّ ولا قدمِ

ولا يحسّ بأجفانٍ يحسُّ بها ... فقدَ الرّقادِ غريبٌ باتَ لم ينمِ

تسوِّدُ الشمسُ منّا بيضَ أوجهِنا ... ولا تسوِّدُ بيضَ العذرِ واللممِ(١)

وكانَ حالُهما في الحكم واحدةً ... لو احتكَمْنا منَ الدّنيا إلى حكمِ

ونتركُ الماءَ لا ينفكُّ من سفرٍ ... ما سارَ في الغيم منه سارَ في الأدمِ(٢)

لا أبغضُ العيسَ لكني وقَيْتُ بها ... قلبي منَ الحزنِ أو جسمي من السقمِ

طرَدتُ منْ مصرَ أيديها بأرجُلها ... حتى مرقْنَ بها من جوشَ والعلمِ

تبري لهنَّ نعامُ الدوِّ مسرجةٌ ... تُعارضُ الجدلَ المرخاةَ باللجمِ(٣)

في غلمةٍ أخطروا أرواحَهم ورضُوا ... بما لقينَ رضى الأيسارِ بالزَّلمِ(٤)

تبدو لنا كلَّما ألقوْا عمائمَهُمْ ... عمائمٌ خلقتْ سوداً بلا لُثُمِ(٥)

بيضُ العوارضِ طعانون منْ لحقوا ... من الفوارسِ شلالونَ للنعمِ(٦)

(*) مناسبة القصيدة: قالها بالكوفة يرثي أبا شجاع فاتك ويذكر مسيره من مصر.

(١) العذر: جمع عذار: طرف اللحية. اللمم: جمع لمّة: الشعر المجاوز شحمة الأذن.

(٢) الأدم: جمع أديم: الجلد المدبوغ.

(٣) الدو: المفازة. الجدل: حبال تكون في عنق الجمل.

(٤) الزلم: السهم.

(٥) بلا لثم: مُرْد.

(٦) شلالون: طرادون.

قد بلغوا بقناهمُ فوقَ طاقته ... وليسَ يبلغُ ما فيهمْ منَ الهممِ
في الجاهليةِ إلا أنّ أنفسَهم ... من طيبهنَّ به في الأشهرِ الحرمِ[١]
ناشوا الرماحَ وكانتْ غيرَ ناطقةٍ ... فعلَّموها صياحَ الطَّيرِ في البهمِ[٢]
تخدي الركابُ بنا بيضًا مشافرُهَا ... خضراً فراسنها في الرغل والينمِ[٣]
مكعومةً بسيطِ القومِ نضربُها ... عن منبت العشب نبغي منبتَ الكرمِ[٤]
وأين منبتُهُ منَ بعد منبته ... أبي شُجاعٍ قريع العربِ والعجمِ[٥]
لا فاتكٌ آخرٌ في مصرَ نقصدَهُ ... ولا له خَلَفٌ في الناسِ كلِّهمِ
من لا تشابهُهُ الأحياءُ في شيمٍ ... أمسى تشابِهُهُ الأمواتُ في الرِّمِ
عدمتُه وكأني سرتُ أطلبُهُ ... فما تزيدني الدنيا على العدمِ
ما زلتُ أضحكُ إبلي كلما نظرت ... إلى من اختضبت أخفافها بدَمِ
أسيِّرُها بينَ أصنامٍ أشاهدُها ... ولا أشاهدُ فيها عفةَ الصّنَمِ
حتى رجعتُ وأقلامي قوائلُ لي ... المجدُ للسيفِ ليسَ المجدُ للقَلَمِ
اكتب بنا أبداً بعد الكتاب به ... فإنما نحنُ للأسيافِ كالخَدَمِ
أسمعتِني ودوائي ما أشرت به ... فإنْ غفلتُ فدائي قلةُ الفَهَمِ

---

(١) الأشهر الحرم: ذو القعدة، ذو الحجة، المحرم، رجب.
(٢) ناشوا: تناولوا.
(٣) تخدي: تسرع. الفرسن: لحم خف البعير. الرغل والينم: نبتان.
(٤) كُعِم الجمل: شُدَّ فاه لئلا يعض.
(٥) القريع: السيد.

من اقتضى بسوى الهنديِّ حاجتهُ ... أجـاب كل سـؤال عن هل بلَمِ

توهم القـومُ أنَّ العـجـزَ قـرَّبنا ... وفي التـقـرب مـا يدعـو إلى التـهَمِ

ولـم تزلْ قلةُ الإنصـافِ قـاطعـةً ... بينَ الرجـالِ ولوْ كـانوا ذوي رَحِمِ

فـلا زيـارةَ إلا أنْ تـزورهـمُ ... أيدٍ نشـأنَ مع المصـقـولة الخُـذُمِ[1]

من كلِّ قـاضـيـةٍ بالموتِ شـفـرتهُ ... مـا بينَ منتـقـمٍ منهُ ومُنتـقِمِ

صنّا قـوائمَـهَـا عنهم فـمـا وقـعتْ ... مواقعَ اللؤمِ في الأيدي ولا الكَرَمِ[2]

هوّنْ على بـصـر مـا شقَّ منظرهُ ... فـإنما يقـظاتُ العينِ كـالحُـلُمِ

ولا تشكَّ إلى خلق فـتـشـمـتَـهُ ... شكوى الجريحِ إلى الغربانِ والرَّخَمِ

وكنْ على حـذرٍ للناسِ تسـتـرهُ ... ولا يغـرَّك منهم ثغـرُ مـبـتـسمِ

غـاضَ الوفـاءُ فـمـا تلقـاهُ في عـدةٍ ... وأعوزَ الصدقُ في الإخبـار والقَسَمِ

سبـحانَ خالقِ نفسي كيف لذَّتُها ... فـيـمـا النفـوسُ تراهُ غـايةَ الألمِ

الدهرُ يعـجبُ من حـملي نوائبَـهُ ... وصبرُ نفسي على أحداثه الحُطُمِ[3]

وقتٌ يضـيـعُ وعـمـرٌ ليت مـدّتَهُ ... في غـيـرِ أمـتـه منْ سـالفِ الأممِ

أتى الزمـانَ بنوه في شـبـيـبـتِـه ... فـسـرّهُمْ وأتيناهُ على الهَـرَمِ

---

(١) الخذم: جمع خذوم: القاطع.

(٢) الكزم: قصر الأصابع.

(٣) الحطم: جمع حطوم: الذي تحطم من إصابته.